

قصة إفاك المناققين على عائشة رضي الله عنها

دروس وعبر

الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٧ هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه قصة إفك المنافقين على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، نُبحر بين سطورها ، نستنبط منها الفوائد ، ونلتمس منها الفرائد.

وكنت قد وضعت الحديث ؛ من ضمن كتابي (عشرون موقفاً للنبي ﷺ مع المنافقين) ، لكنني رأيت أنه من الأفضل أن يكون في مؤلف مستقل ، لطول الحديث ، ولأهميته ، ولكثرة فوائده .

وخطة الكتاب : ذكر الحديث ثم الفوائد منه ، وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ، أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلاً ، أو أضيف ، وما لم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، ولم استوعب جميع فوائد الحديث . وقد يكون للحديث عدة روايات ، فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى . وإنما اكتفيت بواحدة .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد .

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان
الرياض _ المملكة العربية السعودية
ebrahim.f.w@gmail.com

حديث الإفك

قالت عائشة زوج النبي ﷺ : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاهما، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه، وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه علي بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافا، لم يُهَبِّلَنَّ ولم يَعْشَهَنَّ اللحم، إنما يأكلن العَلَقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرّس^(١) من وراء الجيش فأدلى^(٢)، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكت، حين قدمنا المدينة شهرا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف، الذي كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذاك يريني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي، حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في

(١) من التعريس وهو : نزول آخر الليل للنوم والراحة ويستعمل في كل وقت . (فتح الباري لابن حجر ١/١٥٥) .

(٢) أدلى أي : سار آخر الليل . (المرجع السابق ١/١١٧) .

مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بنس ما قلت، أتسبين رجلا قد شهد بدرا، قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، فدخل علي رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: «كيف تيكم؟» قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمته ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا كثرن عليها، قالت قلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب، فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بيرة فقال: «أي بيرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟» قالت له بيرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: أنا أعذرک منه، يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلا صالحا، ولكن اجتهلته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ، قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فائق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلم، ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال:

«أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب، ثم تاب تاب الله عليه» قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ، مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، فيما قال فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقوني وإني، والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} [يوسف: ١٨] قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا، والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن، والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، في اليوم الشات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُري^(١) عن رسول الله ﷺ، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك» فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، قالت: فأنزل الله عز وجل: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة} منكم عشر آيات فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات براءتي، قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله عز وجل: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى} إلى قوله: {ألا تحبون أن يغفر الله لكم} [النور: ٢٢]، قال حبان بن موسى: قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله، فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدا، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ عن أمري «ما علمت؟ أو ما رأيت؟» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك.^(٢)

(١) سُري عنه أي: ذهب عنه ما يجد. (التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ١٦/٥٨٧).

(٢) صحيح البخاري ٣/١٧٣ رقم ٢٦٦١. صحيح مسلم ٤/٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ له.

الدروس والعبر والفوائد المستنبطة من قصة الإفك :

- (١) قولها : (قَبِلَ الْمَنَاصِعَ) أي خرجن إلى المناصع، وهي مكان واسع خارج المدينة يقضون حاجتهنّ فيه من بول ، أو غائط .
- (٢) أجمع أهل السير أن قصة الإفك كانت في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق .
- (٣) قولها : (عِقْدِي) العِقدُ : كل ما يُعقد ويُعلّق في العنق، ويقال له: قِلادة ، وهو من جَزَع ظفار ، والجَزَعُ : حَرَزَ يَمَانِي .
- (٤) مشروعية القرعة .^(١)
- (٥) قوله ﷺ : (ما علمت عليه إلا خيرا) قال ابن حجر : (وفيه استعمال لا نعلم إلا خيرا في التزكية ، وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته، ممن يُطَّلَع على خفيّ أمره) .^(٢)
- (٦) قول الزهري: (وكلُّ حدثي طائفة من حديثها) هو جائز سائغ من غير كراهة؛ لأنه قد بيّن أن بعض الحديث عن بعضهم وبعضه عن بعضهم. والأربعة الذين حدّثوه به أئمة حفاظ من جلة التابعين، فإذا ترددت اللفظة من هذا الحديث بين كونها عن هذا أو عن ذاك لم يضر. وجاز الاحتجاج بها لثقتهم، وقد قام الاتفاق على أنه لو قال: حدثني زيد أو عمرو، وهما ثقتان معروفان بذلك عند المخاطب، جاز الاحتجاج بذلك الحديث.
- (٧) قبول تزكية النساء بعضهنّ لبعض .
- (٨) خص الله أزواج نبيه ﷺ من الفضل بما لم يوجد في غيرهن ممن يأتي بعدهن من النساء .
- (٩) إنه يجوز أن يزكي بعضهن بعضا بقول حسن وثناء جميل ولا يكون تعديلا في شهادة توجب أخذ مال، وإنما هو إبراء من سوء لكان حسنا، وشهادة النساء إنما أجازها الله تعالى في كتابه في الديون والأموال مع الرجال، وأجازها المسلمون في عيوب النساء وعوراتهن، وحيث لا يمكن الرجال مشاهدته.^(٣)
- (١٠) قولها رضي الله عنها: (وكانت النساء إذ ذاك خفاف لم يُهَبَّلَنَّ) يعني لم يثقلهنّ ولم يكثر عليهنّ اللحم والشحم، والمراد أن النساء إذ ذاك خفاف؛ لقلة الزاد والحاجة، فيصيبهن الجوع كثيرا. قال النووي المشهور في ضبطه بضم أوله وفتح الهاء وتشديد الموحدة

(١) من ١-٤ استفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ١١٩/٤ . ١٥٤/٥-١٥٥ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٦٨١/٨ .

(٣) من ٦-٩ استفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ١٦/٥٦٤ ، ٥٦٥ .

وبفتح أوله وثالثه أيضا وبضم أوله وكسر ثالثه من الرباعي يقال: هَبَلَهُ اللحم وأهبله إذا أثقله، وأصبح فلان مُهَبَّلًا أي: كثير اللحم، أو رامّ الوجه. فيكون في هذه الكلمة ثلاث لغات. وقال ابن الجوزي المهَبَّل الكثير اللحم، الثقليل الحركة من السِّمْن وفلان مُهَبَّل أي مُهَيِّج كأنّ به وَرَمًا. (١)

(١١) الصحابي الذي أُتِّم مع أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، هو صفوان ابن المعطلّ بن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بھثة بن سليم، ذكر الكلبي وغيره أن أول مشاهدته المريسيع، وذكر الواقدي أنه شهد الخندق وما بعدها، وكان شجاعا خيرا شاعرا. قتل شهيدا ﷺ في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين للهجرة.

(١٢) والذين جاؤوا بالإفك في الآية: عبدالله بن أبيّ كبير المنافقين، وحمّنة بنت جحش رضي الله عنها، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت رضي الله عنهما.

(١٣) الإفك: الكذب وأصله من قولهم: أَفَكَهُ يَأْفِكُهُ إذا صَرَفَهُ عن الشيء، فقليل للكذب: إِفْكٌ؛ لأنه مصروف عن الصدق. (٢)

(١٤) الذي تولى كِبْرَهُ عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين. والمعنى أنه هو الذي بدأ بالحديث عنه، والخوض فيه، وهو الذي يتحمّل معظم ذلك الإثم والإفك. (٣)

(١٥) كان صفوان ﷺ على الساقة، يلتقط ما يسقط من متاع الجيش؛ ليردّه إليهم، وقيل: إنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس. (٤)

(١٦) قولها: (فاستيقظت باسترجاعه) يعني قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون. فيحتمل أن يكون شقّ عليه ما جرى عليها، ويحتمل أن يكون عدّها مصيبة لما وقع في نفسه أنه لا يَسْلَم من الكلام.

(١٧) قولها: (يُفِيضُونَ) من قول أصحاب الإفك، يقال: أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه يخوضون وهو من قوله تعالى: {لمستكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم} [النور: ١٤]. قال ابن عرفة: يقال: حديث مستفيض ومستفاض فيه. وقال غيره: وحديث مفاض فيه ومستفاض ومستفيض في الناس، أي: جار فيهم وفي كلامهم.

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٠٠/١ - ٤٦٠/٨.

(٢) من ١١-١٣ مستفاد من المرجع السابق ١٦/١٦، ٥٧٣، ٥٧٤.

(٣) تفسير الطبري ١٩/١١٦.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ١٦/٥٧٤.

(١٨) قولها: (تَعَسَّ مسطح) معناه: عَثَرَ، وقيل: هَلَك، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بَعُدَ، وقيل: سقط لوجهه، قال ابن التين: المحدثون يقرءونه بكسر العين، وهو عند أهل اللغة بفتحها، قال: ومعناه: انكبَّ أي: كبه الله.

(١٩) أم مسطح: اسمها سلمى بنت أبي رهم، وهي بنت خالة أبي بكر الصديق، واسمها رائطة بنت صخر أخت أم الصديق. ومسطح: لقب واسمه عوف وقيل: عامر، ومعناه عود من أعود الخلال. و (أثأثة): هو ابن أبي عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، يكنى أبا عبد الله، أو أبا عباد. قال الواقدي: شهد مع علي صفيين، ومات سنة سبع وثلاثين، وقيل: سنة أربع عن ست وخمسين سنة .

(٢٠) قوله ﷺ: (تيكم) إشارة للمؤنث كذاكم للمذكر. والمُرْط: كساء من صوف، قاله الداودي، وقال ابن فارس: مِلْحَفَةٌ، يُؤْتَزَرُ بِهَا.

(٢١) قولها: (يا هنتاه) هذه اللفظة تختص بالنداء، ومعناها: يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: يا بلهى. كأنها تُنسب إلى قلة المعرفة بمكائد الناس وشروهم. وهو اسم يلزمه النداء مثل قوله: يا هذه ولا يراد بها مدح ولا ذم .

(٢٢) قولها: (لها ضرائر) لأن كل واحدة تتضرر من الأخرى بالغيبة وشبهها.

(٢٣) وقولها: (وضيئة) أي: حَسَنَةٌ جميلة، ومنه اشتق الوضوء .

(٢٤) فيه تسمية الزوجة أهلاً .

(٢٥) قولها: (أغمصها) أعيها به، وأطعن عليها، يقال: رجل مغموص عليه في دينه

إذا طعن عليه فيه. والداجن: الشاة التي تألف البيت، ولا تخرج إلى المرعى.

(٢٦) قولها: (فاستعذر من عبد الله بن أبيّ، فقال: من يعذري؟). أي: طلب من يعذره

منه أي: ينصفه منه، تقول: من يعذري من فلان؟ ومن عذيري؟ يحتمل عدّة وجوه :

أحدها: من يقوم بعده فيما أوصله إلي من مكروه.

ثانيها: من يقوم يعذري إن عاقبته.

ثالثها: من ينتقم لي منه، ويشهد لهذا جواب سعد: أنا أعذرک منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه.

(٢٧) قولها (قام سعد بن معاذ) وهو وهم ، وقد وهم ابن حزم الأول؛ لأن سعد بن

معاذ مات إثر بني قريظة بلا شك، وبنو قريظة كان في آخر ذي القعدة سنة أربع، فبين

الغزوتين نحو سنتين، والوهم لم يَعْرِ منه أحد من البشر. وكذا قال ابن العربي: ذكر سعد بن

معاذ هنا وهم اتفق عليه الرواة. وقال أبو عمر: وهو وهم وخطأ. وتبعه عليه جماعة وآخرهم

القرطبي، فقال: إن ابن معاذ توفي منصرف رسول الله ﷺ من قريظة سنة أربع لم يختلف فيه أحد من الرواة. (١)

(٢٨) ويُجاب عن القول في الفقرة السابقة: بأنّ في هذه الرواية التصريح الواضح بوجود سعد بن معاذ رضي الله عنه، وأنه تحاور، وتشادّ بالكلام مع سعد بن عبادة رضي الله عنه، والذي ذكرها حافظ متقن، هو الزهري عن أربعة أئمة كبار هم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة ابن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. الأمر الثاني: أنّ سعد بن معاذ رضي الله عنه قد يكون موجوداً وقت الحادثة، ولا يستحيل ذلك عقلاً، بسبب الاختلاف في تأريخ غزوة المريسيع. ويجوز أن يكون جرح سعد بن معاذ لم ينفجر عقب الفراغ من بني قريظة، بل تأخر زماناً، ثم انفجر بعد ذلك، وتكون مراجعته في قصة الإفك في أثناء ذلك، ولعلّه لم يشهد غزوة المريسيع لمرضه وبذلك يستقيم الأمر، ولا نُغلط، أو نوهم الرواة. (٢)

(٢٩) سعد بن معاذ هو ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم، أخي حارثة ابني الحارث، أخي ظفر، واسمه كعب بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك بن الأوس.

(٣٠) وسعد بن عبادة: هو ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر، أخي الأوس، ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء، وأم الأوس والخزرج قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد، أخي نهد وجهينة أولاد زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة.

(٣١) قولها: (وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً) أي: قبل أن يقول كلمته التي قالها حمية، وعصبية. كان خيراً.

(٣٢) السعدان، وأسيد بن حُضير رضي الله عنه، هؤلاء الثلاثة نُقباء. (والنقباء جمع نقيب، وهو كبير القوم وسيدهم). (٣)

(٣٣) مكث الوحي شهراً للاختبار، والابتلاء، والتمحيص، وليعرف النبي ﷺ المُتَكَلِّم في هذه الحادثة من غيره.

(٣٤) من شدّة وقع الكلام على عائشة رضي الله عنها بكت يوماً وليلة، وبشكل متواصل.

(١) من ١٦-٢٧ مستفاد من المرجع السابق ١٦/٥٧٤-٥٧٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٨/٤٧١-٤٧٢.

(٣) موقع معجم المعاني. مادة: نقيب.

- (٣٥) قوله ﷺ: (إِنْ كُنْتَ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ) أي: آتيته، والإلمام: هو النزول النادر غير متكرر، وقال بعض المفسرين: اللمم: مقارفة الذنب من غير موقعة. وقال الداودي: معناه زנית. وقيل اللمم: هو الذي يأتي الشيء وليس له عادة.
- (٣٦) قوله ﷺ: (فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ) دعاها إلى الاعتراف، ولم يأمرها بالستر كغيرها؛ لأنه لا ينبغي أن يكون عند النبي ﷺ امرأة أتت ذنبا .
- (٣٧) قولها: (والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا) هو شأن الصالحين احتقار النفس وملازمة الافتقار إلى الله.
- (٣٨) قولها: (قَلَصَ دَمْعِي) أي: ذهب، وقيل: نقص. يعني أن الحُزْنَ والموجدة وصلت نهايتها، وبلغت غايتها لفرط حرارة المصيبة.
- (٣٩) قولها: (ما رام مجلسه). أي: ما برح منه ولا قام منه، قاله صاحب "العين" يقال: رامه يريمه ربما أي: برحه ولازمه، فأما من طلب الشيء فرام يروم روما.
- (٤٠) البُرْحَاءُ: فُعْلَاءٌ، من البُرْحِ وليست بجمع، وهي شدة الحمى، وغيرها من الشدائد، وقال في "العين": شدة الحر. وقال الخطابي: شدة الكرب، مأخوذ من قولك: برحت بالرجل إذا بلغت به غاية الأذى والمشقة. ويقال: لقيت منه البرح .
- (٤١) قولها: (لا أقوم إليه) إدلالا وعتبا؛ لكونهم شكوا في أمرها مع علمهم بحسن طريقها وجميل حالها.
- (٤٢) ومعنى: {ولا يأتل} [النور: ٢٢] في الآية: لا يحلف، والألية: اليمين، وقيل: لا يُقَصِّرُ من قولهم: ما ألوت أن أفعل كذا و {الفضل} [النور: ٢٢]: المال والسعة في العيش والرزق؛ فإن قلت: {أولو} جماعة والمراد هنا الصديق. قلت: قال الضحاك: أبو بكر وغيره من المسلمين .
- (٤٣) خروج النساء؛ لحاجة الإنسان، وهي التبرز بغير إذن أزواجهن .
- (٤٤) خدمة الرجال لما يركبهن النساء من الدواب .
- (٤٥) جواز حمل النساء في الهودج .
- (٤٦) ترك مكالمة النساء ومخاطبتهن في ذلك .
- (٤٧) كتم ما يقال في الإنسان من القبيح عنه؛ كما كتم الناس القول في أم المؤمنين عنها حتى أعلمتها أم مسطح به.
- (٤٨) تشكّي الإمام والسلطان ممن يؤذيه في أهله، أو غير ذلك إلى المسلمين .
- (٤٩) مشاورة الرجل بطانته في فراق أهله لقول قيل .

- (٥٠) الكشف والبحث عن الأخبار الواردة إن كان لها نظائر أم لا؛ لسؤاله بريرة وأسامة وزينب وغيرهم من بطانته عن عائشة وعن سائر أفعالها وما يُعَمَّص عليها.
- (٥١) الحكم بما يظهر من الأفعال .
- (٥٢) أن المرأة لا تخرج إلى دار أبويها إلا بإذن زوجها .
- (٥٣) فضيلة من شهد بدرا من المسلمين .
- (٥٤) أن الدعاء على من شهد بدرا ، وجفاء الكلمة فيهم مما يجب أن ينكر، كما أنكرته عائشة رضي الله عنها على أم مسطح في ابنها .
- (٥٥) أن عاقبة الصبر الجميل فيه الغبطة والعزة في الدارين.
- (٥٦) الوحي لا يأتي النبي ﷺ متى ما أراد؛ لبقائه شهرا لا يُوحى إليه .
- (٥٧) ترك حدّ من له منعة ؛ لما يخشى من تفرق الكلمة وظهور الفتنة، كما ترك ﷺ حدّ عبد الله ابن أبي بن سلول .
- (٥٨) غضب المسلمين لعرض إمامهم وسلطانهم .
- (٥٩) أن العصبية تنقل عن اسم الصلاح، كما نقلت سعد بن عباد من الصلاح عصبية لعبد الله بن أبي ، لقول عائشة (وكان قبل ذلك رجلا صالحا).
- (٦٠) أنه قد يُسبّ الرجل ، أو يُرمى بشيء ينسب إليه ، وإن لم يكن فيه ما نُسب؛ لقول أسيد بن حضير: (كذبت لعمرى الله فإنك منافق تجادل عن المنافقين) ولم يكن سعد منافقا لكن؛ لمجادلته عن ابن أبي، استحل منه أسيد أن يرميه بالنفاق.
- (٦١) أن الشبهة تسقط العقوبة ؛ كما تسقط الحد وتبيح العرض وتسقط الحرمة.
- (٦٢) أن من آذى نبيه في أهله أو عرضه أنه يقتل؛ لقول أسيد بن حضير: (إن كان من الأوس قتلناه). ولم يُنكر عليه ﷺ شيئا، فكذلك من سب عائشة بما برأها الله منه أنه يقتل؛ لتكذيبه القرآن المبرئ لها ، وتكذيبه الله ورسوله ﷺ .
- (٦٣) معاقبة المؤذي بقطع المعروف عنه، والأخذ بالعفو والصفح عن المسيء، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب .
- (٦٤) التسبيح عند التعجب.
- (٦٥) سماع الغيبة مثل الغيبة؛ لأنه تتميم لقصد القائل وإبلاغه أمله قال تعالى: { ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم } [النور: ١٦] .
- (٦٦) إنّ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.
- (٦٧) قولها: (تساميني) أي: تعاليني فتنازعي الحظوة عند رسول الله، والمسامة مفاعلة من سما يسمو إذا ارتفع وتناول . وفيه تزكية عائشة لصفية بنت جحش .

(٦٨) قول زينب: (أحمي سمعي وبصري) أي: لا أُكَلِّف فيما سمعت وأبصرت فيعاقبني الله فيهما لكن أصدق؛ حماية لهما وذبا عنهما، وقيل: أصونها كراهية أن أقول سمعت ما لم أسمع ورأيت ما لم أر. وفيه كمال خُلِقَها ، ودينها ، وكمال إيمانها ، وشدّة ورعها .

(٦٩) عائشة رضي الله عنها اختارها الله زوجها لأطيب خلقه وأفضلهم وجعلها أحب إليه من نساء العالمين. ولا يجوز أن تكون إلا طيبة مثله لقوله: {والطيبات للطيبين} .^(١)

(٧٠) تعصّب أصحاب المنافق عبدالله بن أبي له في هذه الحادثة وغيرها .

(٧١) العدل بين النساء واجب ، وقد أوجب القسم في حقّه ﷺ ، فلو خرج بواحدة من أزواجه دون قرعة ، لم يكن ذلك عدلا بينهن وكان ميلا، فكانت القرعة فصلا في ذلك وحكما يرجع إليه، كما يحكم بها في كثير مما يشكل أمره من أمور الشريعة.

(٧٢) أقام النبي ﷺ الحدّ على الصحابة : حسان ومسطح رضي الله عنهما ، وعلى حمنة رضي الله عنها ، فجلدهم الحدّ ثمانين . ليكفر الله عنهم بذلك إثم ما صدر منهم حتى لا يبقى عليهم تبعة في الآخرة .

(٧٣) قال هشام بن عمار: سمعت مالكا يقول: من سب أبا بكر وعمر أدّب، ومن سبّ عائشة قتل؛ لأن الله تعالى يقول: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين} [النور: ١٧] فمن سبها فقد خالف القرآن وقُتِل، ومن سبّها بما برأها الله منه فهو مُكذّب لله، ومن كذّب الله فهو كافر . وعند الشافعي من سبّها أدب .^(٢)

(٧٤) أن التوبة من الذنب الندم والاستغفار .

(٧٥) قوله: (بعد ما نزل الحجاب) أي بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال هن، وكُنَّ قبل ذلك لا يمنعن ، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج؛ حتى أفضى ذلك إلى تحميله، وهي ليست فيه وهم يظنون أنها فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب . فلعلّ النساء حينئذ كنّ يركبن ظهور الرواحل بغير هودج ، أو يركبن الهودج غير مستترات، فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بغيرها إن كانت ركبت أم لا .

(٧٦) الهودج : مَحْمَلٌ له قبة تُستر بالثياب ونحوه ، يوضع عن ظهر البعير ، يركب عليه النساء ليكون أستر هن .

(٧٧) قولها: (ودنونا من المدينة قافلين) أي راجعين أي أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة .

(١) سورة النور آية ٢٦ .

(٢) من ٢٩-٧٣ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ١٦/٥٧٥-٥٩٤ . ١٧/٥٦٦ . ٢٣/٥٢ .

(٧٨) الذين كانوا يرحلون بعير عائشة رضي الله عنها، كانوا في غاية الأدب معها، والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج، بحيث إنها لم تكن فيه، وهم يظنون أنها فيه وكأنهم جوّزوا أنها نائمة .

(٧٩) قولها: (وكنت جارية حديثة السن) هو كما قالت لأنها أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين وأكثر ما قبل في المريسيع أنها عند بن إسحاق كانت في شعبان سنة ست ، فتكون لم تكمل خمس عشرة. فإن كانت المريسيع قبل ذلك فتكون أصغر من ذلك .

(٨٠) قولها: (وكنت جارية حديثة السن) يحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها ؛ فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال ، وترك إعلام أهلها بذلك ، وذلك لصغر سنها وعدم تجارها للأمور، بخلاف ما لو كانت كبيرة لكانت تتفطن لعاقبة ذلك .

(٨١) إن قيل لم لم تستصحب عائشة معها غيرها ؟ فكان أدعى لأمنها ؛ مما يقع للمنفرد ، ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ؛ ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل . والجواب : أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله: (حديثة السن) لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك. وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب معها أحدا .

(٨٢) لما لم تجدهم أقامت رضي الله عنها في منزلها إلى أن أصبحت، وكأنه تعارض عندها أن تتبعهم ؛ فلا تأمن أن يختلف عليها الطرق فتهلك قبل أن تدركهم، ولا سيما وقد كانت في الليل ، أو تقيم في منزلها لعلهم إذا فقدوها عادوا إلى مكانها الذي فارقوها فيه .

(٨٣) ينبغي لمن فقد شيئاً أن يرجع بذاكرته إلى الورا، إلى الحد الذي يتحقق وجوده ، ثم يأخذ من هناك في التنقيب عليه .

(٨٤) أرادت رضي الله عنها بمن يفقدها من هو منها بسبب، كزوجها أو أبيها والغالب الأول ؛ لأنه كان من شأنه ﷺ أن يساير بغيرها ، ويتحدث معها فكأن ذلك لم يتفق في تلك الليلة، ولما لم يتفق ما توقعته من رجوعهم إليها ، ساق الله إليها من حملها بغير حول منها ولا قوة .

(٨٥) قولها: (فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت) يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم ؛ الذي حصل لها في تلك الحالة. ومن شأن الغم -وهو وقوع ما يكره - غلبة النوم ، بخلاف الهم -وهو توقع ما يكره - فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد

السَّحَر لها مع رطوبة بدنها ، وصغر سنها . أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل .

(٨٦) قولها: (فرأى سواد إنسان نائم) السواد ضد البياض وقد يطلق على الشخص

أي شخص كان، فكأنها قالت: رأى شخص آدمي لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.

(٨٧) قولها: (فعرفني حين رأني) هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت ؛ لأنها

تلففت بجلبائها ونامت ، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها .

(٨٨) قولها: (وكان يراني قبل الحجاب) أي: قبل نزول آية الحجاب ، وهذا يدل على

قَدَمِ إسلام صفوان ؛ فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة ، وطائفة في ذي القعدة سنة

ثلاث ، وعند آخرين في سنة أربع وصححه الدمياطي وقيل بل كان في سنة خمس . وأنّ

قصة الإفاك كانت بعد نزول آية الحجاب .

(٨٩) كأنّ صفوان ﷺ لما استرجع ، وقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) شقّ عليه ما

جرى لعائشة ، أو خشي أن يقع ما وقع ، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعا به صوته عن

مخاطبتها بكلام آخر ، صيانة لها عن المخاطبة .

(٩٠) ما فعله صفوان ﷺ حينما رأى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دالاً على

فطنته ، وحُسن أدبه .

(٩١) قولها: (والله ما يكلمني كلمة) عبّرت بهذه الصيغة إشارة إلى أنه استمر منه ترك

المخاطبة ؛ لئلا يفهم لو عبرت بصيغة الماضي اختصاص النفي بحال الاستيقاظ، فعبرت

بصيغة المضارعة .

(٩٢) قولها: (ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه) فهم كثير من الشراح أنها أرادت بهذه

العبارة نفي المكاملة البتة. فقالوا: استعمل معها الصمت اكتفاء بقرائن الحال، مبالغة منه

في الأدب ، وإعظاما لها وإجلالا .

(٩٣) قولها: (في نحر الظهيرة) تأكيد لقولها : (مُؤغِرِينَ) فإن نحر الظهيرة أولها، وهو

وقت شدة الحر ، ونحْرُ كلّ شيء أوله ، كأنّ الشمس لما بلغت غايتها في الارتفاع ، كأنها

وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر .

(٩٤) أن عائشة رضي الله عنها عندما وصلت إلى المدينة ، مرّضت شهرا ، والناس

تتحدث عن الإفاك ، وهي لا تشعر بذلك رضي الله عنها .

(٩٥) قوله ﷺ: (كيف تيكم ؟) استدلت عائشة بهذا اللفظ على أنها استشعرت منه

بعض جفاء، ولكنها لما لم تكن تدري السبب فلم تبلغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته .

- (٩٦) قولها: (أمرنا أمر العرب الأول في التنزه) التنزه طلب النزاهة والمراد البعد عن البيوت لقضاء الحاجة ، وأثمّ لم يتخذوا الكنف في البيوت كالأعاجم .
- (٩٧) قول أمّ مسطح لما عثرت : (تعس مسطح) يحتمل أن يكون هذا القول عمدا ؛ لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة. ويحتمل أن يكون اتفاقا أجراه الله على لسانها . لتستيقظ عائشة رضي الله عنها من غفلتها عما قيل فيها .
- (٩٨) قولها (قالت أي هنتاه) أي حرف نداء للبعيد وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منه منزل البعيد، والنكته فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد .
- (٩٩) من شدة ما أصاب عائشة رضي الله عنها من هذه التهمة البشعة همت بأمر سوء فعند الطبراني^(١) وأبي عوانة بإسناد صحيح عن أيوب عن بن أبي مليكة عن عائشة قالت : لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليبا فأطرح نفسي فيه . وهو همّ الخاطر .
- (١٠٠) كلام أم عائشة لابنتها يدلّ على فطنتها، وحسن تأتيها في تربيتها، ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظّم عليها فهوّنت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وقالت لها كلاما طيبت به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به .
- (١٠١) الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش . لذلك شاركت فيمن شارك في هذا الإفك ، والبهتان العظيم .
- (١٠٢) قولها ولا أكتحل بنوم استعارة للسهر .
- (١٠٣) كان ﷺ إذا أراد أن يستشير أحدا في أمر أهله؛ لم يعُدّ عليا وأسامة رضي الله عنهما .
- (١٠٤) قولها: (في فراق أهله) عدلت عن قولها في فراقها إلى قولها فراق أهله لكرامتها التصريح بإضافة الفراق إليها .
- (١٠٥) قول علي رضي الله عنه (يا رسول الله لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنساء سواها كثير) هذا الكلام الذي قاله عليّ ؛ حملة عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق ؛ بسبب القول الذي قيل وكان ﷺ شديد العيرة ، فرأى علي رضي الله عنه أنه إذا فارقها؛ سَكَنَ ما عنده من القلق ، بسببها إلى أن يتحقق براءتها .

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٢١/٢٣ رقم ١٥٧ . وله المعجم الأوسط ١٨٤/١ رقم ٥٨٢ مسند البزار ٢١٢/١٨ رقم ٢٠٦ ولم أعثر عليه في مسند أبي عوانة ، ولا المستخرج له . حسب بحثي في المكتبة الشاملة .

(١٠٦) يستفاد من الفقرة السابقة أيضا، ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما وقال الثوري: رأى ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه ؛ فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ .

(١٠٧) قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقب ذلك بقوله وسل الجارية تصدقك؟ ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ فكانه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر، إلى أن تطّلع على براءتها، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة .

(١٠٨) سبب اختصاص عليّ ﷺ بالمشاورة، أن عليا ﷺ كان عنده كالولد ؛ لأنه ربّاه من حال صغره، ثم لم يفارقه، بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة . فذلك كان مخصوصا بالمشاورة فيما يتعلق بأهله ، لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره . وأسامة ﷺ كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة ، ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه حبّ رسول الله ﷺ .

(١٠٩) خصّ النبي ﷺ أسامة دون أبيه زيدا رضي الله عنهما ، لكونه كان شابا كعلي ﷺ وإن كان عليّ أسن منه ، وذلك أن للشباب من صفاء الذهن ما ليس لغيره ، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن، لأن المسنّ غالبا يحسب العاقبة ، فربما أخفى ما يظهر له ، رعاية للقائل تارة ، والمسؤول عنه أخرى .

(١١٠) قول الجارية عن عائشة رضي الله عنها : (إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله) هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب فغفلتها عن عجينها أبعدها من مثل الذي رميت به وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات .

(١١١) حدّثت عائشة رضي الله عنها ما وقع لها بعد دهر طويل ، حتى سمع ذلك منها عروة وغيره من التابعين .

(١١٢) اعتذر المازري عن قول أسيد بن حضير ، لسعد بن عباد إنك منافق ، أن ذلك وقع منه على جهة الغيظ ، والحنق والمبالغة في زجر سعد بن عباد عن المجادلة عن بن أبيّ وغيره ، ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر .

(١١٣) وإنما أجابها أبو بكر ﷺ بقوله: لا أدري لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يركي ولده .

(١١٤) لم تستحضر عائشة رضي الله عنها ، حينما أجابت النبي ﷺ اسم يعقوب عليه السلام ، لكونها حدثت السن ، ولا تقرأ كثيرا من القرآن .

(١١٥) كانت عائشة رضي الله عنها متحقة من براءة نفسها ، وتعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك؛ أن يقطع بكذبه ، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه، بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم، أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك.

(١١٦) قولها : (حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي) من ثقل القول الذي ينزل عليه. والجمان اللؤلؤ وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ وقال الداودي خرز أبيض والأول أولى فشبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابتها في الصفاء والحسن .

(١١٧) قولها: (والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله) إنما قالت ذلك إدلالا كما يدل الحبيب على حبيبه. وقيل أشارت إلى أفراد الله تعالى بقولها، فهو الذي أنزل براءتي فناسب إفراده بالحمد في الحال. ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك. ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها احمدي الله ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد فقالت ذلك، وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب .

(١١٨) قال الزمخشري: لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية؛ ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة، وأشبعها لاشتماله على الوعيد الشديد، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول في ذلك .

(١١٩) إظهار علو منزلة النبي ﷺ، وتطهير من هو منه بسبيل .

(١٢٠) ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجودا، لأن أبا بكر ﷺ لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقيق ذنبه فيما وقع منه .

(١٢١) قولها : (فهلكت فيمن هلك) أي : حدثت فيمن حدث من أهل الإفك ، أو أثمت مع من أثم .

(١٢٢) جواز السفر بالنساء في الغزو .

(١٢٣) جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ، ولو كان فيه مدح ناس ، وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئا ، بقصد نصح من يبلغه ذلك ؛ لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق .

(١٢٤) الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم، أولى من تركه يقع في الإثم ، وتحصيل الأجر للموقوع فيه .

(١٢٥) استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام .

- (١٢٦) الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة .
- (١٢٧) جواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ، ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقا لذلك .
- (١٢٨) جواز خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب .
- (١٢٩) جواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن .
- (١٣٠) جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها .
- (١٣١) صيانة المال ولو قلّ ، للنهي عن إضاعة المال . فإنّ عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر .
- (١٣٢) شؤم الحرص على المال ؛ لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة ، فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى .
- (١٣٣) توقف رحيل العسكر على إذن الأمير .
- (١٣٤) استعمال بعض الجيش ساقا ، يكون أمينا ليحمل الضعيف ، ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح .
- (١٣٥) مشروعية الاسترجاع عند المصيبة .
- (١٣٦) وجوب تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي .
- (١٣٧) إغاثة الملهوف ، وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع ، وإكرام ذوي القدر ، وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك .
- (١٣٨) حسن الأدب مع الأجانب خصوصا النساء لا سيما في الخلوة .
- (١٣٩) المشي أمام المرأة ، ليستقر خاطرها وتأمين مما يُتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي .
- (١٤٠) ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص ، وإن لم يتحقق ، وفائدة ذلك أن تنفطن لتغيير الحال ، فتعذر ، أو تعترف .
- (١٤١) لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤدي باطنه ، لئلا يزيد ذلك في مرضه .
- (١٤٢) السؤال عن المريض .
- (١٤٣) الإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام ، والملاطفة فإذا كان السبب محققا فيترك أصلا ، وإن كان مظنونا فيخفف ، وإن كان مشكوكا فيه ، أو محتملا فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل ، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه ، لأن ذلك من خوارم المروءة .

(١٤٤) الأفضل للمرأة إذا خرجت لحاجة؛ أن تستصحب معها من يؤنسها، أو يخدمها ممن يؤمن عليها .

(١٤٥) ذبّ المسلم عن المسلم ، خصوصاً من كان من أهل الفضل وردع من يؤذيهم .

(١٤٦) إطلاق السبّ على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص .

(١٤٧) فضيلة قوية لأُم مسطح ؛ لأنها لم تُحَابِ ولدها في وقوعه في حق عائشة رضي الله عنها ، بل تعمّدت سبّه على ذلك .

(١٤٨) تقوية لأحد الاحتمالين؛ في قوله ﷺ عن أهل بدر إنّ الله قال لهم : " اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " ، وأن الراجح أن المراد بذلك أن الذنوب تقع منهم ، لكنها مقرونة بالمغفرة تفضيلاً لهم على غيرهم ؛ بسبب ذلك المشهد العظيم ومرجوحية القول الآخر : أن المراد أن الله تعالى عصمهم فلا يقع منهم ذنب .

(١٤٩) استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها

(١٥٠) تخصيص من جُرب في صحّة رأيه ؛ من أهل بطانته الأقربين ولو كان غيره أقرب .

(١٥١) البحث عن حال من اتهم بشيء ، وحكاية ذلك للكشف عن أمره، ولا يعد ذلك غيبة .

(١٥٢) التثبت في الشهادة

(١٥٣) فطنة الإمام عند الحادث المهم .

(١٥٤) طلب النصرة من الخواصّ على الأجنبي .

(١٥٥) توطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب به ، أو العتاب له .

(١٥٦) استشارة الأعلى لمن هو دونه .

(١٥٧) تحريم الشكّ في براءة عائشة .

(١٥٨) أن من استفسر عن حال شخص ؛ فأراد بيان ما فيه من عيب ، فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه، كما قالت بريرة في عائشة حيث عاتبته بالنوم عن العجين ، فقدّمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن .

(١٥٩) أن النبي ﷺ لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي ، لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي .

(١٦٠) أن الحمية لله ورسوله ﷺ لا تدمّ .

(١٦١) فيه فضائل جمّة لعائشة ولأبويها ، ولصفوان ولعلي بن أبي طالب، وأسامة وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير .

(١٦٢) أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح .

- (١٦٣) جواز سبّ من يتعرض للباطل ، ونسبته إلى ما يسوؤه ، وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه ، لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك ؛ جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له .
- (١٦٤) إطلاق الكذب على الخطأ .
- (١٦٥) جواز القسم بلفظ لعمر الله .
- (١٦٦) الندب إلى قطع الخصومة ، وتسكين ثائرة الفتنة وسد ذريعة ذلك .
- (١٦٧) احتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما .
- (١٦٨) فضل احتمال الأذى .
- (١٦٩) مباعدة من خالف الرسول ﷺ ولو كان قريباً حميماً .
- (١٧٠) مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن .
- (١٧١) تثبت أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الأمور لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال " والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قطّ ، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام " (١) .
- (١٧٢) ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء ، وقول أمّا بعد .
- (١٧٣) أن قول كذا وكذا يكتفى بها عن الأحوال ، كما يكتفى بها عن الأعداد ، ولا تختص بالأعداد .
- (١٧٤) وجوب التوبة على كل مسلم .
- (١٧٥) أنّ التوبة تقبل من المعترف المقلع المخلص ، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ، ولو عرّف أنه يُصدّق في ذلك ، ولا يؤاخذ على ما يترتب على اعترافه ، بل عليه أن يقول الحق ، أو يسكت .
- (١٧٦) أن الصبر يحمّد عاقبته ويغبط صاحبه .
- (١٧٧) تقديم الكبير في الكلام .
- (١٧٨) توقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام .
- (١٧٩) تبشير من تجددت له نعمة ، أو اندفعت عنه نقمة .
- (١٨٠) لا بأس من الضحك والفرح ، والاستبشار لمن تجددت له نعمة ، أو اندفعت عنه نقمة .
- (١٨١) معذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه .
- (١٨٢) إدلال المرأة على زوجها وأبويها .

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٣/١٢٤ رقم ١٩١١٨ .

- (١٨٣) تدريج البشارة لمن وقع في مصيبة ؛ فزالته عنه، لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه . يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ، ثم تبشيرها ، ثم إعلامها ببراءتها مجملته ، ثم تلاوته الآيات على وجهها وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش ، لا يُمكن من المبالغة في الري في الماء ؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة ، بل يجرع قليلا قليلا .
- (١٨٤) أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرح .
- (١٨٥) فضل من يفوض الأمر لربه ، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم كما وقع في حالي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقولها والله المستعان .
- (١٨٦) الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصا في صلة الرحم .
- (١٨٧) وقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه .
- (١٨٨) أن من حلف أن لا يفعل شيئا من الخير استحبه له الحنث .
- (١٨٩) جواز الاستشهاد بأي القرآن في النوازل .
- (١٩٠) التأسّي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم .
- (١٩١) ذم الغيبة ، ودم سماعها ، وزجر من يتعاطاها ؛ لا سيّما إن تضمنت تهمته المؤمن بما لم يقع منه .
- (١٩٢) ذم إشاعة الفاحشة في المؤمنين .
- (١٩٣) منع الحكم حالة الغضب لما بدا من سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عباد من قول بعضهم لبعض حالة الغضب ، حتى كادوا يقتتلون . فإن الغضب يخرج الحليم المتقي ؛ إلى ما لا يليق به . فقد أخرج الغضب قوما من خيار هذه الأمة بحضرة رسول الله ﷺ ، إلى ما لا يشك أحد من الصحابة أنها منهم زلة .
- (١٩٤) بيان ما أجمل في الكتاب والسنة .
- (١٩٥) تسمية من يُعرف من أصحاب القصص . (١)
- (١٩٦) الإقرار والاعتراف بالعبودية لله .
- (١٩٧) هناك أمور تقع للعبد بغير ترتيبه ، وبغير اختياره .
- (١٩٨) سعة رحمة الله ، وعظيم فضله على العبد .
- (١٩٩) مبدأ الحوار ظاهر في القصة .
- (٢٠٠) علّم عائشة رضي الله عنها ، وفقهها . فهذه القصة من العلم الذي بثته عائشة رضي الله عنها ، ويثبتها للناس .

(١) من ٧٤-١٩٥ مستفاد من فتح الباري لابن حجر ٨ / ٤٥٧-٤٨٢ .

- (٢٠١) الصحابة رضي الله عنهم بشرٌ ، وغير معصومين ، فيقع منهم الخطأ ، والزلل . لكنهم نالوا شرف الصحبة .
- (٢٠٢) الحجاب للمرأة ستر ، وعفاف .
- (٢٠٣) على المسلم أن يهتم بالوقت ، ويُقدّر قيمة الزمان ، وشرفه .
- (٢٠٤) ستر الله على عائشة رضي الله عنها بستره الجميل ؛ حينما فقدت الجيش ساعات طويلة ، وبقيت لوحدها وستر عليها سبحانه في ما اتهمت به .
- (٢٠٥) لا يعلم الغيب إلا الله .
- (٢٠٦) قولها : (فبعثوا الجمل) معنى البعث : في اللغة يأتي بمعنى الإرسال ، أو الإثارة ، أو الإحياء . جاء في لسان العرب : البعث في كلام العرب على وجهين : أحدهما الإرسال ، كقوله تعالى : { ثم بعثنا من بعدهم موسى } ^(١) ؛ معناه أرسلنا . والبعث : إثارة برك أو قاعد ، تقول : بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار . والبعث أيضا : الإحياء من الله للموتى ؛ ومنه قوله تعالى : { ثم بعثناكم من بعد موتكم } ^(٢) ؛ أي أحييناكم . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث . والمراد هنا بالبعث : إثارة البعير الذي كان باركا ، أو قاعدا . ^(٣)
- (٢٠٧) قولها : (أرجو أن يرى رسول الله صلّى الله عليه وآله في النوم رؤيا) أهمية الرؤيا ومكانتها .
- (٢٠٨) أن رؤيا الأنبياء حق .
- (٢٠٩) أن رؤيا الأنبياء قد يتقرر منها حكم شرعي .
- (٢١٠) المتهم بريء حتى تثبت إدانته .
- (٢١١) هذه الحادثة أثرت في بيت النبي صلّى الله عليه وآله ، وهزت مجتمع المدينة .
- (٢١٢) اهتمام النبي صلّى الله عليه وآله وحرصه على أهل بيته ، وأن يكون أكمل البيوت .
- (٢١٣) من فوائد القرعة أنها عملية فيها إنصاف ، وطريقة عادلة ، وتبعث على الرضا ، والتسليم بما يحصل من نتائجها .
- (٢١٤) السفر فيه مشقة بالغة ، وخاصة في ذلك الزمان .
- (٢١٥) قولها : (خرج سهمها) أي نصيبها ، وحظها .
- (٢١٦) لم تذكر عائشة رضي الله عنها ؛ ما يكدّر في هذه السفارة التي سافرتها مع النبي صلّى الله عليه وآله سوى ما حصل لها من ضياع العقد ، وما أثير حولها من إفك .

(١) سورة الأعراف آية ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٥٦ .

(٣) موقع إسلام ويب . فتوى رقم ١٠١٧٩١ بعنوان : مفهوم البعث والجزاء لغة واصطلاحا .

- (٢١٧) كانت وسيلة النقل في ذلك الزمان ، وفي تلك السفرة هي الإبل .
- (٢١٨) تأثرها بسير الجيش ، أنساها فرحتها بوجودها لعقدتها .
- (٢١٩) قولها : (فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب) أي ليس فيها من يرفع صوته فيدعو ، أو يرد على من ينادي . وهو وصف لحالة السكون ، وخلق المكان من أي إنسان .
- (٢٢٠) الرضا بالقضاء والقدر ، والاستسلام لأمر الله ، وعدم الاعتراض عليه .
- (٢٢١) قد يخون الإنسان ظنه الخاطيء . في قولها : (وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي) .
- (٢٢٢) النوم راحة للبدن ، وتحديد للنشاط .
- (٢٢٣) السمع والطاعة للنبي ﷺ من قبل أصحابه ﷺ ، والاستجابة لأمره .
- (٢٢٤) قولها : (وأبواي يظنّان أن البكاء فالتقُّ كبدي) فيه شفقة الوالدين على ابنتهما ، وخوفهما عليها .
- (٢٢٥) قولها : (استأذنت عليّ امرأة من الأنصار ، فأذنت لها فجلست تبكي) فيه مؤازرة المحب ، والصديق ، ووقوفه مع من أحب في الأزمان .
- (٢٢٦) قولها : (استأذنت عليّ امرأة من الأنصار ، فأذنتُ لها فجلست تبكي) لا يكفي أن يستأذن الشخص ، ومن ثمّ يدخل ، بل لابد أن يُؤذن له ، ويسمع ذلك .
- (٢٢٧) قوله ﷺ : (فإن كنت بريئة ، فسبيرك الله) الثقة بالله ، والتوكل عليه .
- (٢٢٨) مطلوب من المسلم أن يكون عفيف اللسان ، طيب الكلام .
- (٢٢٩) أثناء إلقاء هذا الحديث من عائشة رضي الله عنها ، كانت عاملة بالأنساب ، وبطون العرب .
- (٢٣٠) قولها : (أتأذن لي أن آتي أبوي؟) الاستئذان أدبٌ إسلامي رفيع ، ومبدأ تربويّ عظيم .

(٢٣١) قولها: (أقرع بين نسائه) فعائشة رضي الله عنها ، هي إحدى زوجاته ﷺ ، فله ﷺ أن يتزوج ماشاء من النساء، وهذه خصوصية له ، دون سائر أمته ، وقد مات ﷺ وفي ذمته تسع نسوة .

(٢٣٢) ذكاء عائشة رضي الله عنها ، وفطنتها ، ورجحان عقلها .

(٢٣٣) شيء جميل أن تكون الأم قريبة من ولدها ، فقد كانت أم عائشة قريبة جدا من ابنتها . فكلما كان الأب ، أو الأم قريبان من ابنتها ، أو ابنتهما ، كلما ضاقت الفجوة بينهما ، وصار بينهما جسر مودّة ووثام . وصارا كالصديقين ، يفضلض هذا لهذا ، ويبادلن الشعور بالشعور . يستفاد هذا من قولها : (فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمته ما يتحدث الناس ؟ فقالت : يا بنية هوّني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا كثّرن عليها) .

(٢٣٤) الحنان والرفق ، والتعامل الحسن مع الأبناء ، يأتي بنتائج ، طيبة ، ومثمرة .

(٢٣٥) قول أم مسطح : (فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا كثّرن عليها) يدلّ على أنه يكون بين زوجات الرجل ، إحنّ ، وضغائن ، وكيدٌ ، ونحو ذلك ، إذ لا يخلو من ذلك بيت صاحبه عدّد الزيجات .

(٢٣٦) جمال عائشة رضي الله عنها ، وحبّ النبي ﷺ لها .

(٢٣٧) من يأخذ بالاستشارة يدلّ على رقيّ شخصيته .

(٢٣٨) الاستشارة مبدأ إسلامي نبويّ ، قال سبحانه : { وشاورهم في الأمر } .^(١)

(٢٣٩) الاستشارة إنارة للعقل ، وطمانينة للنفس .

(٢٤٠) قول علي رضي الله عنه : (وإن تسأل الجارية تصدّقك) فيه أنّ الصدق خصلة جميلة ،

ويحبها الله ورسوله ﷺ ، ويحبّها الناس . قال ﷺ : " وما يزال الرجل يصدّق ويتحرّى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا " .^(٢)

(٢٤١) أهميّة السؤال في أخذ المعلومة .

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٢) صحيح البخاري ٢٥/٨ رقم ٦٠٩٤ . صحيح مسلم ٢٠١٣/٤ رقم ٢٦٠٧ واللفظ له .

(٢٤٢) لا حرج على الإنسان أن يُكثر من السؤال ، لكي يضبط المسألة ، ويكون عنها تصوّراً كاملاً .

(٢٤٣) جواز الحلف ب(والذي بعثك بالحق) لأنّ بريرة رضي الله عنها كانت تُخاطبه ﷺ وكان أمّامها . أمّا وهو غائب، وبعد وفاته ﷺ فيحلف ب: (والذي بعث محمداً بالحق).

(٢٤٤) قول بريرة رضي الله عنها عن عائشة رضي الله عنها : (إن رأيت عليها) فالشهادة ، والتزكية للشخص لا تكون إلاّ عن رؤية ، ومشاهدة ، و معرفة .

(٢٤٥) من أعظم ماتمّيزت به عائشة رضي الله عنها ، دون سائر زوجات النبي ﷺ أنّها صغيرة السنّ حين تزوجها ، ولم يتزوج بكراً غيرها .

(٢٤٦) كانت رضي الله عنها تعمل في بيتها ، وفي بيت زوجها ﷺ ، وكانت تعجن الشعير ونحوه .

(٢٤٧) كان للنبي ﷺ منبراً يرقى عليه ، إذا أراد أن يخطب .

(٢٤٨) حفظ عائشة رضي الله عنها ، وقدرتها على تذكّر الأحداث بأدقّ تفاصيلها .

(٢٤٩) مصلحة الخبيث ابن أبيّ أن يصيب الدعوة الإسلامية في مقتل ، وأن يهدم الدين من خلال إصابة الأساس فيه . يتمثّل ذلك في شخصية النبي ﷺ .

(٢٥٠) استغلال المنافقين للمواقف لبثّ سمومهم ، وما يضطرم من حقدٍ في صدورهم .

(٢٥١) قوله ﷺ : (رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي) يُصرّح النبي ﷺ بأنّ هذا الرجل آذاه

ﷺ ، ووصل أذاه إلى داخل البيت النبوي ، حتى وصل إلى أقرب الناس إليه ؛ وزوجه

عائشة رضي الله عنها . وعبّر النبي ﷺ بوصفه (رجل) لأنه نكرة بالنسبة لأصحاب النبي ﷺ ، فلا يُعدّ من صحابته ، لأنّه منكر في ذاته ، ومنكر في أفعاله وأقواله .

(٢٥٢) الإسلام يربي النفوس ، ويُهدّبها .

(٢٥٣) قوله ﷺ عن صفوان بن المعطل رضي الله عنه: (وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي)

يدلّ على أنّ البيوت لها حرمة ، فلا يجوز للمسلم دخول بيت غيره إلاّ بإذنه ، أو بوجود أصحابه فيدخل معهم .

(٢٥٤) قول سعد: (ضربنا عنقه) للتعبير عن القتل ، لأنّ السيف قبل أن يقطع العنق ؛ لا بُدّ أن يُضرب به حتى يصل قطع العنق .

(٢٥٥) سعد بن معاذ رضي الله عنه هو أوّل من قام ، امثالاً لطلب النبي صلى الله عليه وآله ، وأجاب إجابة لا غبار عليها .

(٢٥٦) لكن يبدو أن سعد بن عبادة رضي الله عنه فهم من عبارة سعد بن معاذ رضي الله عنه ، أنّ فيها نوع لمز ، أو انتقاص له ، ولقبيلته ونحو ذلك ، فقامت حميته ، وحمية ابن عمّه أسيد بن حُضير رضي الله عن الجميع .

(٢٥٧) لا يعلم ما بداخل النفوس إلاّ الله ، والناس لا ترى إلاّ الظاهر ، وتحكم من خلاله ، لذا على المسلم أن يحرص على ألفاظه التي تخرج منه حتى لا يتمّ تأويلها تأويلات ليست هي المعنى المراد بها .

(٢٥٨) قولها رضي الله عنها: (فتار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا) هذا الثوران ، والتراشق بالعبارات اللامسؤولة ، حتى كاد القوم أن يقتتلوا ، كلّ هذا حصل أمام النبي صلى الله عليه وآله من أجل إنسان واحد ، ومنافق فاجر ، يفرح أشدّ الفرح بما آل إليه القوم . ولكنّ الله كبته ، وأطفأ نار فتنته التي أشعلها ، وأججها .

(٢٥٩) الغضب إذا تملك الإنسان ، فإنه يتصرّف تصرفات غير منضبطة .

(٢٦٠) قولها: (حتى هموا) قال بعضهم : الهمّ خاطر نفسي لا يصل إلى التصميم ، والعزم ^(١) والصحيح : أنّه يصل إلى ذلك ، بدليل هذا الحديث ، فلولا الله سبحانه ثمّ تسكيت ، وتهذئة النبي صلى الله عليه وآله لتقاتل الحيان الأوس والخزرج .

(٢٦١) لا بدّ للأمة من قائد ربانيّ يسير بها على منهج النبوة . ولا يصلح آخر هذه الأمة ، إلاّ ما صلح عليه أوّلها .

(٢٦٢) قول عائشة رضي الله عنها : (وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع) البكاء نعمة من نعم الله للعبد ، فهو دليل على صحّة العين ، ويقوم بعملية تعقيم لها ، فهو يغسل

(١) انظر في معنى الهمّ بحث قيم بعنوان : الهم والعزم في القرآن تحقيقهما والفرق بينهما لعلي هاني يوسف . ملتقى أهل التفسير .

معلق بها من غبار ونحوه ، وهو أيضا يخفف عن الإنسان ما أصابه من حزن وضيق .
ويدل أيضا على رقة قلب الشخص ، وأنه مرهف المشاعر والأحاسيس .

(٢٦٣) قول عائشة رضي الله عنها : (استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي) فيه فضيلة ، ومنقبة لنساء الأنصار ، لحرصهم على مشاركة عائشة فيما أصابها .

(٢٦٤) قولها رضي الله عنها : (فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم) إن كان بينك وبين أهل بيتك خصام ، فإنك إن دخلت عليهم ، فسلم ، وإن جمعت مع السلام ابتسامه ، وكلاما طيبا فحسن .

(٢٦٥) قول عائشة رضي الله عنها : (ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل) أي : إن النبي ﷺ لم يقعد بجانب عائشة رضي الله عنها ، ولم يقربها مدة شهر ، منذ أن قال فيها أهل الإفك ، واتهموها زورا ، وبهتاننا . وإنما جلس بعد هذه الفترة ليطلب منها التوبة ، وإن كانت بريئة فسيبرؤها الله إلى آخر ما قال ﷺ .

(٢٦٦) قولها رضي الله عنها : (لا يُوحى إليه في شأني بشيء) نعم إنه شأنها ، والأمر يعينها ، فهذه المحنة تخصها هي ، وتلتصق بها ، حيث أضافت الشأن لها .

(٢٦٧) الاستغفار أمر يجب على الله ، قال سبحانه : { والمستغفرين بالأسحار }^(١) وفي الحديث القدسي : { من يستغفرني فأغفر له }^(٢) والتوبة أيضا محبوبة إليه سبحانه : { إن الله يُحب التوابين ويُحب المتطهرين }^(٣) .

(٢٦٨) قوله ﷺ : (إن كنت بريئة، فسيبرئك الله) البراءة لها معنى جميل ، تحبه النفوس ، وتتطلع إليه الأفئدة ، ففيه النزاهة ، والطهارة من الذنب ، والإثم ، والنقاء من كل عيب ، والخلاص ، والسلامة من أي تهمة . وقد حصلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على كل هذه المعاني الجميلة ، بفضل الله سبحانه .

(١) سورة آل عمران آية ١٧ .

(٢) صحيح البخاري ٥٣/٢ رقم ١١٤٥ . صحيح مسلم ٥٢١/١ رقم ٧٥٨ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٢٦٩) قولها رضي الله عنها: (فلما قضى رسول الله ﷺ ، مقالته) أسمت رضي الله عنها الكلام الذي تكلم به ﷺ ، مقالة من القول ، وتسمى أيضا كلمة أو حُطبة ، وليس معناها المقالة الأدبية .

(٢٧٠) قولها رضي الله عنها: (فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ) لا بأس من أن يتم تحويل السؤال للإجابة عليه من شخص آخر ، سواء كان يعرف الجواب ، أو لم يعرفه .

(٢٧١) مهابة النبي ﷺ وتقديره ، وإجلاله .

(٢٧٢) جواز الحلف على الشيء الذي لا يُدرى عنه .

(٢٧٣) لا بأس بتكرار الإجابة من شخصين مختلفين لسؤال واحد . فقد أجاب أبو بكر وزوجته لابنتهما الإجابة نفسها .

(٢٧٤) جرأة عائشة رضي الله عنها ، أمام النبي ﷺ ، وأمام والديها . وقد يكون الموقف الذي تعيشه ، أعطاها دافعا قويا للحديث .

(٢٧٥) لا حياء في قول الحق .

(٢٧٦) قد يكون الحق مع إنسان واحد ، والجميع خلافه ، أو لا يوافقونه . فاتبع طريق الحق ، ولو كان السالك فيه أنت وحدك .

(٢٧٧) قول عائشة رضي الله عنها: (لا أقرأ كثيرا من القرآن) على المسلم أن يحرص على قراءة القرآن ، فهو الزاد الحقيقي مع الأعمال الصالحة ، وأن يُكثر مدارسته ، وفهمه ، وتطبيقه في حياته .

(٢٧٨) قول عائشة رضي الله عنها: (لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا) الله عز وجل أعطى الإنسان السمع ، وهو نعمة عظيمة من نعم الله ، فليحرص على ألا يسمع به إلا الخير ، والطيب من القول ، وأن يتثبت فيما يتلقاه . حتى لا يقول شيئا يتندم عليه .

(٢٧٩) قول عائشة رضي الله عنها: (حتى استقر في نفوسكم وصدّقتم به) إذا سمع الإنسان عن أمرٍ ، واستقر في نفسه ، وآمن به ، من الصعوبة بمكان ، أن يتغير ذلك الشيء . إلا أن يأتي شيء يزعزع ويقلعه من أساسه ، ثم يبدله بما هو حق ، وأصح منه .

(٢٨٠) قول عائشة رضي الله عنها: (فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني بريئة لتصدقوني) موقف صعب ، وخطبٌ جليل ، لا تُحسدُ عليه ، إن قالت : إنها بريئة ، وهذا الكلام هو الصحيح ، والحق الذي لا مرية فيه ، فإنهم لن يصدقونها ، وهي عندهم كاذبة فيما تقول ، وإن كذبت ، واعترفت على نفسها، وهو كلام غير منطقي ، ولا حقيقي فإنهم سيصدقونها . صورة فيها من الأسي ، والألم ، والمرارة الشيء الكثير الذي يُعجزُ فيه عن الوصف .

(٢٨١) في حالات الشدة ، أو الخوف ، أو القلق والاضطراب قد ينسى الإنسان اسمه ، أو تسمية يومه ، أو ما كان يحفظه ، فقد نسيت رضي الله عنها اسم يعقوب والد يوسف عليهما السلام بسبب الموقف الذي تعيشه .

(٢٨٢) نتأمل قول الله عز وجلّ : {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} فنجد فيها تخفيف للمعاناة التي عاشتها عائشة رضي الله عنها .

(٢٨٣) الصبر الجميل الذي يجعل الإنسان يرضى بقضاء الله ، ويصبر على البلاء ، دون تشكٍّ ، وتسخطٍ ، إلا الشكوى لله سبحانه .

(٢٨٤) الاستعانة ، وطلب المدد والعون بالحي القيوم سبحانه .^(١)

(٢٨٥) رغم أنّها رضي الله عنها صغيرة السنّ ، ولا تحفظ أكثر القرآن ، إلا أنّها استطاعت اختيار آية تناسب الحالة التي هي فيها .

(٢٨٦) قولها رضي الله عنها: (ثم تحولت فاضطجعت على فراشي) الراحة، والتحول من المكان إلى آخر والاضطجاع على الفراش ، والنوم عوامل مهمّة تساعد على تخفيف الهمّ ، والألم ، ومرارة المصيبة ، ولو مؤقتا .

(٢٨٧) قولها رضي الله عنها: (وأنا، والله حينئذ أعلم أنني بريئة وأنّ الله مبرئي براءتي) ثقة عائشة رضي الله عنها بربها ، ثم ثقتها بنفسها ، وتأكيدها على ذلك وثباتها على المبدأ ، كل هذه الأمور جعلها تتجاوز المحنة .

(١) من ٢٨٣-٢٨٤ مستفاد من تفسير السعدي ص ٤٠٣ .

(٢٨٨) قولها رضي الله عنها: (من أن يتكلم الله عز وجل فيّ بأمرٍ يُتلى) فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه .

(٢٨٩) قولها رضي الله عنها: (ولكني كنت أرجو) فالرجاء بالله سبحانه ، والرجاء كلمة تبعث على الأمل ، وتزيد من النشاط ، وتجدد النظرة إلى الحياة . فعلى المسلم أن يكون لديه نظرة مشرقة إلى المستقبل ، ويتفاءل ، مهما أحلوك الظلام .

(٢٩٠) قولها رضي الله عنها: (حتى أنزل الله عز وجل) فيه دليل على علو الله سبحانه ، وأن أمره ووحيه يأتي من أعلى .

(٢٩١) قولها رضي الله عنها: (من العرق) وهو قطرات الماء التي تخرج من جسد الإنسان سواء من الحرّ ، أو إذا بذل جهداً ، وكان عرقه ﷺ أطيب من الطيب . حتى إن أمّ سليم إذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره ، فجمعته في قارورة. ^(١) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال ^(٢) عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أمّ سليم ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله في طيننا، وهو من أطيب الطيب . ^(٣)

(٢٩٢) قولها رضي الله عنها: (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، في اليوم الشات) هذه طريقة من الطرق التي يأتيه ﷺ فيها الوحي ، وهناك طرق أخرى ، كأن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس ، وأحياناً يتمثل له الملكُ رجلاً فيكلمه ﷺ فيعبي ما يقول له . ^(٤)

(٢٩٣) قولها رضي الله عنها: (من ثقل القول الذي أنزل عليه) أي: ثقل وقت نزوله ؛ من عظمته . كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترضّ فخذي. ^(٥)

(١) صحيح البخاري ٦٣/٨ رقم ٦٢٨١ .

(٢) من القيلولة ، وهو نوم نصف النهار . (فتح الباري لابن حجر ١/٥٣٦) .

(٣) صحيح مسلم ١٨١٥/٤ رقم ٢٣٣١ .

(٤) صحيح البخاري ٦/١ رقم ٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥١/٨ . والحديث في صحيح البخاري ٢٥/٤ رقم ٢٨٣٢ . بنحوه .

(٢٩٤) لازالت أول كلمة عالقة في فكر ، وقلب عائشة رضي الله عنها ، لم تنس تلك اللحظة الجميلة ، وتلك الكلمة السعيدة ، والبشرى الرائعة التي قالها النبي ﷺ ، ونطق بها ، إنها فرحة عارمة ، وكلمة أدخلت البهجة والبشر والسرور على فؤادها . فتقول رضي الله عنها : (فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة) .

(٢٩٥) الكلّ يترقّب تلك اللحظة الحاسمة ، والكلمة الفصل من الوحي عن طريق النبي ﷺ .

(٢٩٦) لم تكن البشرى واحدة فقط ، بل اثنتان حين التأمل ، فالأولى : بشرى البراءة مما اتهمت به رضي الله عنها . والثانية : بشرى الآيات التي نزلت ببراءتها والتي تتلى ليلاً ونهاراً ، وإلى قيام الساعة .

(٢٩٧) هذا التميّز الذي حصلت عليه رضي الله عنها ، إذ جاءت البراءة من الأعلى سبحانه ، ولم تكن تلك البراءة أرضية ، بشرية ، بل علوية ، سماوية .

(٢٩٨) لم يُعاتب النبي ﷺ زوجته أنّها لم تقم إليه ، مع أنّ أمها هي التي أمرتها بذلك ، مع أنّ البراءة جاءت من طريقه هو ﷺ ، ومن أمرها بالقيام هي والدتها .

(٢٩٩) قولها: (فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة) أبو بكر ﷺ معذور في قوله هذا ، لأنّه بشر ، فأقرب الناس له يطعنه في عرضه ، ويخوض في الإفك مع الذين خاضوا .

(٣٠٠) القرآن ينزل ليربيّ النفوس ، على البذل ، والعطاء ، والإنفاق .

(٣٠١) القرآن ينزل ليمحصّ الذين آمنوا ، وليميز الخبيث من الطيب .

(٣٠٢) القرآن ينزل ليخفف المعاناة ، ويريح النفوس ، وليزيل الألم .

(٣٠٣) الله هو الذي يكشف الضرّ ، ويُنقّس الكرب ، ويأتي باليسر ، بعد العُسْر .

(٣٠٤) قول الله عز وجل : (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) يدلّ على أنّ أبابكر

رضي الله عنه من أهل الفضل والسعة ، وأنه صاحب مال وتجارة .

(٣٠٥) الحرص على وصل الأقارب ، والاهتمام بهم ، والعناية بشؤونهم ، ومراعاة أحوالهم .

(٣٠٦) قولها: (فقال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه ، وفقره) الغنى في المال محبوب إلى النفوس ، ويتطَّلَع إليه كل إنسان ، ولكن أمر الغنى ، والفقير بيد الله سبحانه ، هو الذي يجعل هذا غنيا ، وهذا فقيرا .

(٣٠٧) قولها : (وكان ينفق على مسطح) اليد العليا هي المنفقة ، وهي الباذلة ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

(٣٠٨) لا اعتراض على قضاء الله الذي يقضيه على العبد ، فمن رضي فهذا هو المطلوب من العبد ، فله الرضا ، والأجر ، والثواب من الله ، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ ، ولا يَنال إلاَّ التعب .

(٣٠٩) قول أبي بكر رضي الله عنه: (والله لا أنفق عليه شيئا) هذه يمين مقصودة منه رضي الله عنه ، ولما نزل قوله سبحانه : {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى} إلى قوله: {ألا تحبون أن يغفر الله لكم} تراجع أبو بكر رضي الله عنه ، عن كلامه ، وأبطل يمينه المعقودة ، فلا بدَّ أنه رضي الله عنه قد كَفَّرَ عن يمينه ، ليأتي الذي هو خير له .

(٣١٠) أعاد أبو بكر رضي الله عنه النفقة على مسطح ؛ بنفس راضية ، وبقناعة تامة ، وبإيمان صادق ، فهو رضي الله عنه ، خير الصحابة ، وأسرعهم في بذل المعروف ، ودائما يسبق إلى الخير ، بل كان رضي الله عنه الأول دائما في ميادين الخير كلها .

(٣١١) قول عائشة رضي الله عنها في زينب بنت جحش رضي الله عنها : (فعصمها الله بالورع) يدلُّ على أنَّ الذي يعصم من الوقوع في الزلل هو الله ، وأنَّ الحافظ هو الله سبحانه .، فلا معصوم إلاَّ من عصمه الله . وهذه الصحابية الفاضلة منعها الله من الوقوع في الخوض في حديث الإفك ، بعد توفيق الله لها ماكنت تتمتع فيه من الورع . (وقد جمع النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الورع كله بكلمة واحدة فقال: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" ، فهذا

يعم الترك لما لا يعني من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشى، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة، والباطنة. فهذه الكلمة كافية شافية في الورع.^(١)

(٣١٢) قول عائشة رضي الله عنها: (وظفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها) أي : شرعت ، وأخذت ، وكأتمها - أعني حمنة رضي الله عنها -أسرعت تدخل في الخوض في الإفك ، مع من خاض فيه ، ولا نظنّ في هذه الصحابية إلاّ خيرا ، فغرضها أن ترفع من شأن أختها زينب ، لا أن تهدم الدعوة في شخص النبي ﷺ ، أو أن تشوّه سمعة النبي ﷺ ، ونحو ذلك مما سعى له المنافقون ، وخططوا له ، بل واستماتوا من أجله ، كلّ هذا لم تقصده رضي الله عنها ، وهذا هو الظنّ الحسن بالصحب الكرام رضي الله عنهم .

(٣١٣) قول عائشة رضي الله عنها: (تحارب لها) ، وصفٌ من عائشة رضي الله عنها ، لما تفعله حمنة رضي الله عنها في هذه الحادثة ، فكأتمها في معركة سحّرت لها طاقات الحرب ، وعدتها ، وأدواتها ، وأخذت تخوض غمارها بالجدال ، والكلام ، والإشاعة ونحو ذلك مما يكون في الحرب . كل ذلك من أجل الانتصار لأختها ، وأن يرتفع شأن أختها عند النبي ﷺ ، وأن تجد منه ﷺ مزيدا من الحظوة .

(٣١٤) فكان الهدف الذي تسعى له حمنة رضي الله عنها ، هدفا شخصيا بحتا ليس لها هي ، إنما لأختها، وهدفا محدودا ، لا تتسع دائرته ، أكثر من ذلك ، بخلاف الهدف الذي كان يسعى له المنافقون .

(٣١٥) حُبّ حمنة لأختها زينب رضي الله عنهما، حبّا كثيرا .

(٣١٦) قول عائشة رضي الله عنها: (تحارب لها) فالتصدّي لهذه الحرب إنما هو نابع من ذات حمنة رضي الله عنها ، ولم تُنصّبها أختها زينب ، ولم توص لها ، لا بكلام ، ولا بإشارة ، ولا بإيماء ، ولا شيء من ذلك البتّه ، إنما هو أمرٌ انبرت له حمنة بنفسها ، ومن ذاتها ، دافعها الغيرة ، والحمية لأختها زينب رضي الله عنهنّ كلّهنّ .

(١) سؤال في الفرق بين الزهد والورع . الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل . موقع طريق الإسلام . والحديث في : سنن الترمذي ٥٥٨/٤ رقم ٢٣١٧ . سنن ابن ماجه ١٣١٥/٢ رقم ٣٩٧٦ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٢٧/٢ رقم ٥٩١١ .

(٣١٧) قول عائشة رضي الله عنها: (تحارب لها) على المسلم أن ينصر أخاه في الحق ، والخير ، ولا ينصره في الباطل ويعينه عليه ، فينصره بمنعه عن الظلم .

(٣١٨) قول عائشة رضي الله عنها: (وظفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها) الحماس ، والاندفاع بقوة مطلوبان في العمل . ولكن نحتاج مع ذلك إلى أن يكون الحماس منضبط بضوابط الشرع ، وألا يُسبب إضراراً بالآخرين .

(٣١٩) قول: (والله ما علمتُ إلا خيراً) عبارة رائعة ، وجميلة ، على المسلم أن يعمل الخير ، وأن يكون هو خيرٌ في ذاته ، ولا يسلك إلا طريق الخيرين ، فهو طريق مبارك ، حتى لو سُئل عنه ، وُجدت هذه العبارة الجميلة ، تنصدر كلامهم ، ماعلمنا إلا خيراً .

(٣٢٠) قول زينب رضي الله عنها: (يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً) والله إنَّ المرء ليقف إجلالاً ، وإكباراً لهذه الصحابية العظيمة ، وهي أمّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فقد كانت فرصة مناسبة بالنسبة لها للنيل من عائشة ، والانتقاص منها . ولكنها رضي الله عنها بهذا التصرف ، كسبت مكاسب عظيمة : أ- حبّ النبي ﷺ .

ب- حبّ ضربتها عائشة رضي الله عنها .

ج- الحب والتقدير والاحترام لكل من سمع أو قرأ عن هذه الحادثة .

د- الأجر والثواب في ترك الخوض فيما لا يعنيه . إلى غير ذلك من المكاسب لمن تأمل كلامها ، وردّة فعلها رضي الله عنها .

(٣٢١) قولها رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاهما، فخرج فيها سهمي) لتخيل هذا المشهد الاجتماعي الرائع ، والجميل منه ﷺ ، وكيف يراعي مشاعر أزواجه ، ولا يجرح أحداً منهنّ ، فكأنيّ به ﷺ يجلس بين زوجاته ، وهنّ حوله ، وقربيات منه ، في جوٍّ مفعم بالحبّ ، والودّ ، وكل واحدة منهنّ متلهّفة ، تنتظر خروج القرعة باسمها لتحظى برفقة النبي ﷺ في سفره .

(٣٢٢) قول زينب رضي الله عنها : (أحمي سمعي وبصري) عبارة عظيمة ، وجليلة القدر ، وياليت مجالسنا ، تأخذ بها ، فالناس فيها من نساء ، ورجال ، يخوضون في أعيان أناس بكلام ليس بمرضي ، فما أجمل أن نجعل هذه العبارة شعارا لنا .

(٣٢٣) قول زينب رضي الله عنها : (أحمي سمعي وبصري) هذه العبارة تدلّ دلالة قاطعة ، وقويّة بتربية زينب لنفسها ، حيث استطاعت ، أن تمنع نفسها-سمعها وبصرها- من الانشغال بالكلام عن الآخرين ، وكأنها رضي الله عنها تقول أنا يكفيني ما عندي ، فكيف أتكلم عن غيري ، فأنا مشغولة بنفسي ، عن أن أتكلم في عيوب ، أو أعراض الآخرين . فهذا أمر لا يعنيني .

(٣٢٤) قولها رضي الله عنها : (فأنا أحمل في هودجي) المرأة مُعزّزة مكرّمة ، فالإسلام رفعها ، وأعلى شأنها ، بعدما كانت في الجاهلية مُهانة ، وسلعة تباع وتشتري .

(٣٢٥) قولها رضي الله عنها : (فقمتم حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش) على المسلم حين اتخاذ القرار لأي أمر ، أن يكون قراره مدروسا ، ويكون اتخاذه في الوقت المناسب ، حتى لا يترتب على ذلك آثار غير محمودة .

(٣٢٦) اتخذت عائشة رضي الله عنها قرارين خطيرين في وقت واحد ، الأول : عندما آذنوا بالرحيل خرجت من وراء الجيش لحاجتها . والثاني : رجوعها للبحث عن العقد الذي ضاع منها. وكان الأولى بها ؛ على الأقل في القرار الثاني ، أنّها تربّت ، أو استشارت ، أو أخبرت أحدا ، ليكون عندهم علمٌ عن وضعها ، لكن كل هذا لم يحدث .

(٣٢٧) شجاعة صفوان ، ورباطة جأشه ، أن يكون آخر الجيش .

(٣٢٨) فضيلة ومنقبة لصفوان ، أن يقوم بعمل كبير لوحده .

(٣٢٩) على المسلم أن يكون فاعلا ، ومنتجا ، وأن يقوم بالعمل الذي كُلف به خير قيام

(٣٣٠) هذا الحديث عظيم ، ومليء بالدروس ، والعبر ، وكلما تأملت ، وغصت في

بحر كلماته ، خرجت بالفوائد ، والدّرر .

(٣٣١) قولها رضي الله عنها: (حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها) يدل على أنّها رضي الله عنها ، ركبت هذه الراحلة بدون هودج . ولا شك بأنّ في هذا صعوبة ، ومشقّة عليها .

(٣٣٢) قولها رضي الله عنها: (حين أشتكى) ابن آدم ضعيف ، والشكوى دليل على الضعف ، لا حول له ، ولا قوّة إلاّ بالله ، قال سبحانه: {وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} (١) .

(٣٣٣) الشكوى لغير الله فيها مذلة ، ومهانة ، لكن لا يمنع أن يُخبر الإنسان بشكواه إلى من يُحبّ ، أو إلى طبيب ، أو إن احتاج إلى ذلك .

(٣٣٤) كل من أحسّ بألم ، أو همّ لا بدّ أن يشتكي إمّا بالصوت كالأنين ، والتحسّر ، والتوجّع ، أو بالكلام ، يقول لهذا ، أو ذاك . ولا شك أنّ على المسلم أن يرفع شكواه لله .

(٣٣٥) قولها رضي الله عنها: (لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف، الذي كنت أرى منه حين أشتكى) ما أجمل اللطافة ، واللين ، مع الزوجة ، وتحسس آلامها ، والسؤال عن حالها ، والتخفيف بالكلمات الهادئة ، والعبارات الدافئة ، خاصة حين المرض ، والتعب . فإنّ المرأة تحتاج إلى ذلك حاجة شديدة ، بل وقد تكون سببا بعد الله في تجاوز تعبها ، ومرضاها .

(٣٣٦) قولها رضي الله عنها: (ولا أشعر بالشرّ) سمّت ما أصابها شرا ، هو شرّ لأوّل وهلة ، ولفترة يسيرة ، لكنه في الحقيقة ليس شرا صرفا لاخير فيه ، بل جاء بسببه خير كثير ، ورفعة وعزّ و وطهارة ، وزكاء . وفضح لأناس منافقين ، ونحو ذلك .

(٣٣٧) قولها رضي الله عنها: (فعثرت أم مسطح في مُرطها، فقالت: تعس مسطح) الأولى في هذه الحال أن يسمي الإنسان ، إذا تعثّر ، أو سقط فالمشروع هو التسمية ، قال ﷺ: " إذا عثرت بك الدابة فلا تقل: تعس الشيطان، فإنه يتعاضم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صنعته، ولكن قل: باسم الله، فإنه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب" (٢) فيستفاد من الحديث أنه إذا تعثّر الإنسان ، أو تعثّرت دابته ، أن يقول : بسم الله

(١) سورة النساء آية ٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٤/١٩٨ رقم ٢٠٥٩١ . قال محققوه : حديث صحيح . السنن الكبرى للنسائي ٩/٢٠٥ رقم ١٠٣١٢ =

فقد تكون أمّ مسطح رضي الله عنها قالت هذا لأنها كلمة دارجة عند العرب ، ولا يقصد معناها ، لأنها لا يمكن أن تدعو قصدا على ابنها ، وفلذة كبدها بالهلاك . أو تكون رضي الله عنها سمّت ، ولم تسمعها عائشة ، أو أنها سمّت ، ولم تذكر ذلك عائشة رضي الله عنها ، لأنها اهتمت بسماع الكلمة القاسية ، وهي سبّها ودعاؤها على ابنها ، قد يُحتمل هذا . والله أعلم .

(٣٣٨) قول عائشة رضي الله عنها لأم مسطح: (فقلت لها: بئس ما قلت) فيه جواز قول بئس ما قلت للإنكار على شخص .

(٣٣٩) قول عائشة رضي الله عنها لأم مسطح: (فقلت لها: بئس ما قلت) فكلمة : بئس ما قلت فيها شدة وغلظة ناسبت الحال الذي قيلت بسببه ، فيؤخذ منه جواز الغلظة والشدة في الإنكار ، حسب طبيعة المنكر ، وعلى حسب المصلحة في ذلك .

(٣٤٠) قول عائشة رضي الله عنها: (فازددت مرضا إلى مرضي) مرض الجسد من طول الطريق في الغزوة ، وبحثها عن عقدها ، وذهاب الجيش عنها ، كلّ هذا أثر على جسدها الضعيف ، والنحيل ، ثمّ ازداد مرضها أكثر حينما سمعت بقصة الإفك عليها ، رضي الله عنها . ولا شك أن المرض المعنوي الداخلي أشدّ ألما من مرض الجسد الظاهري .

(٣٤١) قول عائشة رضي الله عنها: (فقلت لأمي: يا أمّته) ، كان يكفي أن تقول رضي الله عنها : فقلت لأمي: ما يتحدث الناس؟ وهذا السؤال يفى بالعرض ، وواضح ، ومفهوم أيضا لأمّها المسؤولة ، لكنّها رضي الله عنها كررت أمّها مرتين ، ومدّت اللفظ الثاني للأمّ وأعقبته بالهاء ، وكأنّها تتأوّه رضي الله عنها ، وتتوجع مما سمعته ، فتحسّ بعظم المصيبة التي وقعت عليها . فلفظ (أمّته) يُعبّر عن ذلك .

(٣٤٢) قول أمّ عائشة رضي الله عنهما: (يا بنية) بدلا من قولها: (يا بنتي) أو (يا ابنتي) اختيار موفق من أمّها ، لأنّ المقام يحتاج له عاطفة وودّ ، ورقة ، ولين ، ومقام يحتاج له تسهيل ، وتخفيف للمعاناة ، فناسب أن تُعبّر بلفظ (بنية) .

(٣٤٣) قول أمّ عائشة رضي الله عنهما: (فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يجبها، ولها ضرائر، إلا كثّرن عليها) أسلوب رائع في الإقناع ، بأنّ ما حصل لابنتها إنّما كان لأنّ ابنتها جميلة ، وزوجها يجبها ، فهذا الذي جرى كان سببه غيرة الضرائر ليس إلاّ . والحقيقة خلاف ذلك .

(٣٤٤) لا ينبغي للمسلم أن يغفل عن أهل الباطل ، وأهل الزيغ والفساد ، خاصّة أهل النفاق؛ فإنهم يخططون ، ويكيدون للإسلام وأهله .

(٣٤٥) نلاحظ أنّ كلّ كلام عائشة رضي الله عنها ، كان لغةً عربيةً فُصحى ، وجاء على السليقة ، بل ويوجد كلمات غريبة ، وغير مفهومة تحتاج إلى ترجمة لمعانيها مثل : (موغرين) ، (يهبلن) ، (عرّس) ، (فأدلج) ، ونحو ذلك . وهذا هو كلامهم الدارج بينهم ، وفي حديثهم اليومي . وبلا تكلف .

(٣٤٦) الدعوة إلى الله تحتاج إلى توضيحات . فليس الطريق مفروشا بالورود ، والرياحين .
(٣٤٧) على المسلم ألاّ ينساق وراء اللافئات البرّاقة ، والشعارات الزائفة ، ويميّز بين الصحيح والسقيم .

(٣٤٨) حادثة الإفك ماهي إلا نتاج فاسد ، وإرجاف سافر ، صُنِعَ بأيدي المنافقين الخونة . الذين ما فتؤوا في محاولاتهم الحثيثة ، لزعزعة أمن المجتمع ، وتفريق كلمته ، وتمزيق وحدته .

(٣٤٩) المنافقون يريدون منع تمدد الإسلام ، وانتشاره ، فهم يشغلون أهل الإسلام والقائمين عليه بأنفسهم ، عن الانشغال عن الهدف الأسمى ، وهو دعوة الناس ، وهدايتهم فمن يروم شيئاً قُدّامه يكن بصره للأمام لا يلتفت يمناً ولا يسرة ، بينما لو أصيب في أسفل قدمه ، فإنّ نظره يتراجع ، ويقصر إلى الأسفل ، وإلى ما حوله . ويتوقف عن المضيّ قُدّما . والمنافقون يريدون تعطيل الدعوة بأي وسيلة .

(٣٥٠) بالرغم من أنّ الله برّاً أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وأنزل فيها قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة ، إلاّ أنّه مازالت هناك طائفة وضيعة تسمّى الرافضة ، لا زالت تلوك مالاكه ،

وتأفك مَأفَكَه كبير المنافقين الهالك ، وتُقيم لذلك الاحتفالات ، فقاتل الله هذه الطائفة ، وأهلكها كما أهلك أسلافهم .

(٣٥١) تحدّثت عائشة رضي الله عنها في هذه الرواية بلفظ ضمير المتكلم : (أنا) ثمان مرّات ، فالمقام جعلها تكرر هذا العدد من الضمير، لحاجة الكلام لذلك .

(٣٥٢) قول عائشة رضي الله عنها : (ودنونا من المدينة) فالدنو بمعنى القُرب ، والقرب من الشيء الذي يريده الإنسان ، ويطلبه ، فيه راحة للجسد ، وفرحة للنفس ، والمسافر ، والذي أتى من سفر فيه مشقّة ، يفرح بقدمه إلى بلده ووطنه .

(٣٥٣) قول عائشة رضي الله عنها : (ودنونا من المدينة) والمدينة ، كانت سابقا تسمى ، يثرب ، وغير النبي اسمها ، إلى المدينة ، أو مدينة الرسول ﷺ . ودعا ﷺ أن يحبب الله لهم المدينة ، فاستجاب الله دعاءه . ففي الصحيحين أنه ﷺ قال : " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا ، وصحّحها لنا.. " (١) .

(٣٥٤) قولها رضي الله عنها : (فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع) العقد يُجلى به صدر المرأة ، وهو من الزينة التي تُحبّها المرأة جبلةً ، فهو يُزيّن نحرها ، فيضفي جمالا على جمالها .

(٣٥٥) انقطاع العقد أمر يُحزنُ المرأة ، ويضيق به صدرها .

(٣٥٦) قولها : (فحبسني ابتغاؤه) مهما طال وقت البحث ، فلا بدّ أن تجده ، لأنه يُعتبر قطعة منها ، فله قيمة عندها مهما كان ثمنه .

(٣٥٧) قولها : (فلمست صدري) من خاف على شيء معه فإنه يُكثّر من تحسّسه ، ولمسه ، فلو كان مالا في الجيب ، أو جوالا مثلا في زمننا هذا ، فنجد بأنّ الإنسان يتحسس جيبه مكررا ذلك للتأكد من وجوده .

(٣٥٨) قولها : (وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري) فيه أهميّة العمل في الإسلام ، والإنسان له قيمة ، مادام أنه يقدم شيئا مهما كان بسيطا

(١) صحيح البخاري ٢٣/٣ رقم ١٨٨٩ . صحيح مسلم ١٠٠٣/٢ رقم ١٣٧٦ .

،فهؤلاء الرهط هم مجموعة من الرجال ، وظيفتهم حمل الأشياء . والجنود وظيفتهم الجهاد ، وأيضا هذا صفوان رضي الله عنه كانت وظيفته في الساقية ، فيكون في آخر الناس يتتبع ماسقط من متاع ونحوه ، إلى غير ذلك من أنواع الوظائف ، ففي ذلك دعوة صادقة للشباب الذي ركنوا للنوم ، والكسل ، والبطالة ، أن يقوموا ويخدموا ، أنفسهم ، وينفعوا أمّتهم في أي عمل مباح .

(٣٥٩) قولها رضي الله عنها: (حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة) وأناخ الجمل أي: أبركه ، أي أجلسه على الأرض^(١) ، لأنه كان واقفا ، فإذا أراد الشخص الركوب ، أصدر صاحبه بغمه صوتا فأناخه ، أو عمل له حركة يفهمها البعير ، فينزل من طوله إلى الأرض ، المقصود أن هذه البهيمة تعرف صاحبها الذي ألفته ، وتفهم لغته ، وإشارته ، وصوته ، فهاهو صفوان رضي الله عنه ، أبركها ، ثم وطئ على يدها ، ثم قادها بسهولة ويسر ، لأنه صاحبها ، ويفهم عليها ، وهي تفهمه .

(٣٦٠) قولها رضي الله عنها:(ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل) الليل ليس فيه ضوء ، والليل سواد ، وظلام ، وستر ، فالمرأة العفيفة صاحبة ستر ، وخفاء . فتخرج في الليل كي لا تُعرف ، ولا يراها أحد .

(٣٦١) قولها رضي الله عنها:(قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا) دليل على التطور ، والرقي في البناء ، والبعد عن البداوة ، وطريقة العرب الأولى ، والتي فيها مشقة ، وضيق على النساء .

(٣٦٢) قولها رضي الله عنها:(فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي) فيه أهمية اختيار الصديق والرفيق الذي يرافقك ، في أي شأن من شؤونك .

(٣٦٣) قولها رضي الله عنها:(أتأذن لي أن آتي أبوي؟) وهذه المسألة أعني بها ذهاب المرأة المتزوجة إلى بيت والديها ، ففي الغالب أمّا تجد راحتها الكاملة ، والحرية المطلقة في بيت والديها ، أكثر من بيت زوجها؛ لأنه البيت الذي عاشت فيه طفولتها ، وترعرعت ،

(١) موقع معجم المعاني . مادة أناخ .

وكبرت حتى أصبحت عروسا ، ثم انتقلت إلى بيت زوجها ، فنجد أن المرأة تفرح وتسرّ كثيرا إذا ذهبت هناك .

(٣٦٤) يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ ليس هناك صحف ، ولا إذاعة ، ونحو ذلك ، إنما هي الأحاديث التي يتناقلها الناس ، و يتداولها الرُّكبان ، حتى تصل إلى مسمع الشخص .

(٣٦٥) كان الحوار الذي دار بين السعدين رضي الله عنهما شديد اللهجة، ففيه إشارة إلى أنّ على المسلم أن يتنبّه إلى تأثير الألفاظ ، ووقع العبارات على النفس ، فبعض الكلمات التي تُقال بحُسن نية قد تجرح ، وتُصيب ، أشدّ من ضرب السيف .

الخاتمة

وفي نهاية المطاف ، وبعد أن عشنا سوياً مع هذه القصة العظيمة ، وما استنبطناه من دروس وعبر ، واستلهمناه من فوائد وحكم ، أجدُ لزاماً عليّ أن أقول :

١- الابتلاء من سُننِ الله في هذه الحياة ، قال سبحانه : { ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون } .^(١)

٢- على المسلم أن يصبر على ما يصيبه ، وما يقدره الله له . ففي ذلك الخير الكثير .

٣- إنَّ العزَّ والتمكين لهذا الدين ، مهما فعل المنافقون ، وأرجف المبطلون .

٤- هناك أعداء يعيشون بيننا يسوؤهم تقدّم أهل الإسلام ، ويفرحهم كلُّ ألم يصيب أهل الخير ، وأهل الفضل والعلم ، والدعوة .

٥- المنافقون ، وأهل الشرِّ لا ينامون ، بل يخططون ليل نهار لهدم الدين ، وزعزعة وحدة المسلمين .

٦- الله سبحانه ، وليّ ، المؤمنين ، فهو لا يتركهم ، بل هو سبحانه يدافع عنهم .

٧- المحن ، والمصائب تبين معادن الناس .

(١) سورة العنكبوت الآيتان ١-٢ .

فهرس الموضوعات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١	المقدمة
٢	حديث الإفك
٥	الدروس والعبر والفوائد المستنبطة من قصة الإفك
٤١	الخاتمة
٤٢	فهرس الموضوعات